مايكون إلى الحياة في أوربا، وأضحت فكرة القومية التركية هي السائدة وكان للأقليات وللعنـاصر المتطرفة أثرها الكبير، فانتشرت كتب وقصائد، نامق كمال وضياء كوك ألب، وبقيت العاطفة الإسلامية تملأ كثيراً من القلوب، وهي تنتظر الدعوة للإسلام لتنخرط فيها لتنقد المجتمع مما علق فيه، ولكن ما إن تسنح لها الفرصة، وتعطى حرية العمل، وتبدأ بالنشاط حتى يقوم انقلاب عسكري أو تحدث حركة في الجيش تقف في وجه هذا الاتحاد وتحد من امتداده وتوسع رقعته.

٥ ــ إيـران (فـارس)

لإيران تاريخ قديم، وبعد أن انتشر فيها الإسلام، أصبحت قوة حضارية كبيرة ساعدت على انتشاره.

وكلمة إيران مشتقة من اسم الشعوب الآرية التي هاجرت إليها في التاريخ القديم، ومعناها (موطن الآريين)، ولم يستخدم هذا الاسم في العهد الإسلامي وإنما استخدمت كلمة (فارس) للدلالة على إيران القديمة. ويجب أن نفرق بين فارس ككل، وإقليم فارس الواقع إلى الشرق من الخليج العربي. وهذا الإقليم هو الذي فرض اسمه على كل الهضبة الإيرانية. وظل مستخدما في الدوائر المحلية والعالمية حتى عام ١٣٥٤ هـ عندما عمم الشاه رضا بهلوي اسم إيران تأكيدا للفكر الإيراني الذي تزعمه هذا الشاه.

وإيران بصفة عامة، عبارة عن هضبة مرتفعة، تتعدد فيها سلاسل الجبال، أهمها سلاسل جبال الزاغروس والبرز، وجبال زاغروس هي التي توازى الحدود العراقية وتمتد إلى ساحل الخليج العربي، وكأنها حائط هائل تتخلله بعض الممرات على مسافات متباينة، وتميل الهضبة نحو جهة الشرق انحداراً وئيداً حتى تصبح مجرد صحراء ممتدة إلى أفغانستان وباكستان. كما توجد منطقة سهلية نهرية خصبة في قمة الخليج العربي، هي خوزستان (عربستان) وهي في الحقيقة امتداد طبيعي للسهل العراقي سواء من ناحية السطح أم من ناحية التشكيل البشرى حيث يعيش العرب ـ من آل كعب وغيرها من القبائل العربية ـ منذ أزمنة بعيدة في

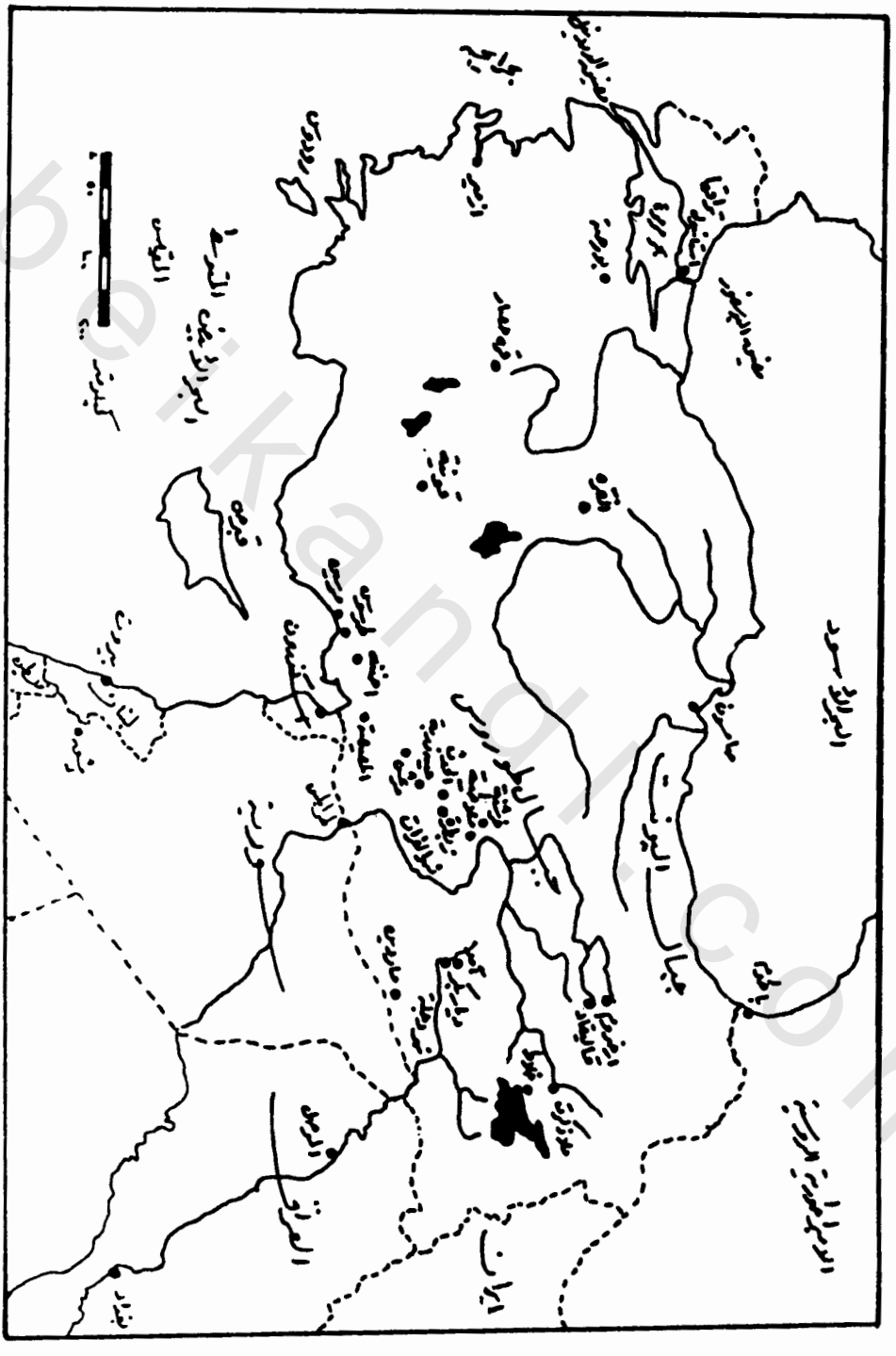
البحر الأبيض المتوسط
البحر الأسود
جبال البرز
العراق
إيران
تبريز
طهران
أصفهان
شيراز
بندر عباس
بوشهر
بغداد
البصرة
الكويت
الخليج العربي
بحر قزوين
بحيرة أورمية
بحيرة وان
بحيرة طوز
بحيرة رضائية
بحيرة زريبار
بحيرة حمرين
بحيرة سبلان
بحيرة سفيد
بحيرة نمك
بحيرة قم
بحيرة ساوه
بحيرة جاسك
بحيرة هامون
بحيرة جازموريان
بحيرة بختگان
بحيرة نيريز
بحيرة مهارلو
بحيرة بريم
بحيرة شادگان
بحيرة حويزه
بحيرة هور العظيم
بحيرة هور الحمار
بحيرة هور الهويزه
بحيرة هور السنيه
بحيرة هور الدلمج
بحيرة هور الشويجه
بحيرة هور الجبايش
بحيرة هور الحمار الشرقي
بحيرة هور الحمار الغربي
بحيرة هور الحمار الجنوبي
بحيرة هور الحمار الشمالي
بحيرة هور الحمار الوسطى
بحيرة هور الحمار الشرقي
بحيرة هور الحمار الغربي
بحيرة هور الحمار الجنوبي
بحيرة هور الحمار الشمالي
بحيرة هور الحمار الوسطى

هذه المنطقة (خوزستان) التي يجرى فيها نهر قارون الذي يصب في شط العرب، ويعد من أهم منافذ فارس إلى البحار.

وتـطل إيران على بحـرين أحدهما مغلق هو بحر قزوين والثاني مفتوح على المحيط الهنـدى، وهو بحر العرب، وخليج عمان والخليج العربي الذي كانت حكومة طهران تصر على تسميته خليج فارس لاعتبارات توسعية في المنطقة، بدأت تخف حدتها منذ اعتراف إيران بحق البحرين في الاستقلال خلال عام ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠ م). هذا مع أن السواحل الشرقية للخليج العربي، وهي سواحل إيرانية، كانت تسكنها ولاتزال عشائر عربية، لها تاريخ طويل يكاد يكون مستقلا عن الحكومة الفارسية المركزية في طهران.

أما بحر قزوين، فهو أكبر البحار المغلقة، وينكمش تدريجيا منذ عدة قرون مضت، وكانت البلاد القوقازية الواقعة بين هذا البحر والبحر الأسود محل صراع بين القوى الأخرى المطلة على المنطقة روسيا وتركيا إضافة إلى إيران.

ويقدر تعداد سكان إيران بما يزيد على الأربعين مليوناً، ثلثاهم على المذهب الشيعى الأثنى عشري، والباقي على مذهب السنة والجماعة. وفي السكان حوالي أربعـة ملايين نسمة من القبائل، والباقي مستقرون في المدن والقرى والوديان الزراعية. أما في القرون السابقة فقد كان التشكيل القبلي هو السائد في معظم أنحاء فارس، ولعل ذلك يرجع أساسا إلى النقص الشديد في مساحات الأرض الصـالحـة للزراعة، ولوجود الصحراوات الواسعة فيها مثل صحراء دشت لوط (الصحراء الخالية) ودشت كوير (الصحراء المالحة).

فقد توالت على إيران في القرون القديمة هجرات عديدة إلا أن أهمها هجرة آرية (أندو ـ أوروبية) استوطنت إيران وعمرت فيها القرى والمدن ومن بين هذه العشائر الآرية من لعب دورا كبيرا في التاريخ، بل وأسس امبراطوريات ذائعة الصيت (مثل الميديين، والفرس، والبارتيين، والعيلاميين، وغيرهم).

ولمعت في تاريخ فارس القـديم أسـماء: كورش مؤسس أكبر امبراطورية في الشرق في القرن السادس قبل الميلاد، وابنه قمبيز، ثم دارا الذي بعث بجيوشه حتى قبل اليونان، وزرادشت الذي وضع القواعد الفلسفية عى أساس أن هناك

صراعا أزليا بين الخير والشر، والتي أصبحت عقيدةً يدين بها سكان تلك الجهات قبل ظهور الإسلام.

وتعرضت إيران ـ مثل بقية أجزاء الشرق الأدني ـ لغزو الإسكندر الأكبر، وما تبع ذلك من ظهور دولة يونانية في فارس والعراق وبلاد الشام (الدولة السلوقية) وأخرى في مصر (الدولة البطلمية). وعلى أنقاض الدولة السلوقية ظهرت الدولة البـارتية في القـرنـين الثـالث والثاني قبل الميلاد. وكان البارتيون يتكلمون لغة فارسية، ويدينون بالمزدكية (المجوسية)، ومن بعد هذه الدولة المجوسية جاءت آخر الدول الإيرانية قبل الإسلام، وهي الدولة الساسانية التي تغلب عليها المسلمون، وانتشر الإسلام بسرعة في فارس، وازدهرت فيها الحضارة الإسلامية إلى مرتبات عالية من التفوق.

وبضعف الخلفاء العباسيين أصيبت الدولة بعدة انقسامات سياسية وظهرت عدة أسر شبـه مستقلة في مختلف أرجاء العالم الإسلامي: كالأسرة الطاهرية، والصفارية، والسامانية، والبويهية، والسلجوقية، وأخيرا دهم فارس غزو خطير شنه المغول. فاستولوا عليها، ثم لم يلبثوا أن استولوا على بغداد نفسها ٦٥٦ هـ لتنتقل الخلافة العباسية بعد ذلك إلى القاهرة[٦٢].

وإذا كان المغول قد فتحوا فارس بالسيف، فقد أخضعت الحضارة الإسلامية هؤلاء الغزاة لها حتى أسلم الملك المغولي أحمد تكودار بن هولاكو الذي قتله ابن أخيه أرغون، وتولى مكانه، واضطهد المسلمين، وتحالف مع الصليبيين والأرمن ضد المسلمين، ثم خلفه كيخاتو، ثم غازان بن أرغون الذي اعتنق الإسلام ولكنه بقي يقاتل المسلمين، وهو الذي دخل دمشق وكان ابن تيمية من الذين وقفوا في وجهه في معركة (شقحب) جنوب دمشق عام ٧٠١ هـ (١٣٠١ م)، ثم قابله وحذّره ووعظه. وقام بعد غازان عام ٧٠٤ أخوه أولجايتو الذي عرف باسم محمد خدابنده، وهو الذي اتخذ المذهب الشيعي مذهباً رسمياً للدولة وأجبر الناس عليه. وكانت إيران من قبل أهل السنة.

وظهر أيام المغول من العلماء نصير الدين الطوسي الذي أقام له هولاكو مرصدا

(٦٢) ستستمر بها حتى عام ٩٢٣هـ ثم تخفت أصواتها ليدعى من بعد العثمانيون أنهم ورثة الخلافة العباسية الشرعيون.

مشهورا بمراغه، كما كان من بين مشاهير المؤرخين عطا ملك الجوينى صاحب تاريخ جلها نكشاى، وهو أهم وأوفى مرجع في تاريخ المغول، وتاريخ سلاطين خوارزم، وتـاريخ فرقة الاسماعيلية. ثم رشيد الدين فضل الله صاحب كتاب جامع التواريخ، وشهاب الدين عبدالله بن فضل الله الشيرازي صاحب تاريخ وصـاف وغـيرهم، وجميع هذه الكتب التـاريخية تعـد من أهم مصادر التاريخ الإسلامي في تلك الحقبة وقد كتبت بالفارسية. وعلى العموم فقد شهدت إيران نهضة ثقافية كبيرة في عهد الإيلخانيين في مختلف فنون المعرفة حتى سارعت أوروبا في عصر النهضة إلى نقل قدر من هذه المؤلفات الى اللاتينية لغة العلم والثقافة عندهم إذ ذاك. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى النهضة العمرانية في بلاد فارس، وازدهرت كذلك صناعة النسيج والبسط وفنون الزخارف عندهم حتى تهافت الأوروبيون وغيرهم على اقتنائها.

ومما هو جدير بالملاحظة أن المغول الهمج وغيرهم من بدو آسيا الوسطى ومعهم الترك كذلك، برغم حبهم للقتال والنهب والتخريب، فانهم بعد أن زاد اتصالهم بالمسلمين، واطلعوا على ماعندهم من أسباب الحضارة والمدنية، انقلبوا من بعد ذلك يساهمون في بناء الحضارة والثقافة ويرعون أصحابها رعاية كريمة.، وقوى من ذلك كله بداهة دخول فريق منهم في دين الله. وهكذا نرى الغالبين ـ بفضل الإسلام عقيدة ومدنية وحضارة ـ يدخلون في دين المغلوبين، وهي ظاهرة لم يعرف لها التاريخ نظيرا أو مثيلا من قبل.

تعرضت إيران لموجة مغولية جديدة على يد تيمور لنك الذي استولى على فارس في أواخر القرن الثامن الهجري، وأسس دولته بالسيف والنار.

ولم تلبث امـبراطـورية تيمـور لنـك أن تفككت بسرعـة بعد موته ٨٠٧ هـ (١٤٠٤ م)، فأفـادت قبـائل (القرة قوينلو) الخروف الأسود من هذه الفرصة، واستولت على أذربيجان، وانحدروا إلى أصفهان والعراق وظلوا يحكمون فارس والعراق حتى قضت عليهم قوة قبيلة أخرى هي «الآق قوينلو» الخروف الأبيض في ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م، بينما كان القسم الشرقي من إيران تحت حكم شاه رخ بن تيمورلنك، وكانت عاصمته في هراة وأخيرا استطاع إسماعيل الصفوي أن يصفي الموقف كله في فارس لمصلحته مؤسسا الأسرة الصفوية ٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م)

التي تعد بدايتها بداية لتاريخ فارس الحديث.

ظهور الأسرة الصفوية :

ففي الوقت الذي أصبحت فيه فارس، خلال حكم أسرة الآق قوينلو، مرتعا للحـروب بين المطالبين بالعرش بالولايات، كانت تنمو في الشمال، في منطقة (أردبيل) أسرة تركية تخصصت في الوعظ على أساس الفكر الشيعي، وعرفت باسم الأسرة الصفـوية التي يقـال أن نسبهـا يرتفع إلى الأمام الشيعي موسى الكاظم. وتنتسب الأسرة الصفوية إلى رجل شيعي وهو صفي الدين المتوفي عام ٧٢٩ هـ (١٣٢٨ م). وكان ابنه ـ صدر الدين ـ لايقل عنه نشاطا من أجل نشر المذهب الشيعي وتعاليمه. ولقد حظى خوجا على (حفيد صفي الدين) بمقابلة تيمور لنك، واستطاع الشيخ أن يحصل منه على عفو عن الأسرى الأتراك الذين كانوا لديه[٦٣]. فلم يلبث هؤلاء الأسرى بعد إطلاق سراحهم أن أعلنوا انتماءهم إلى صدر الدين. ومن نسل هؤلاء الأسرى من لعب أدوارا في تأسيس الدولة الصفوية وتثبيت أركانها.

وتوالى بعد ظهورهما عدد من رجال الدين من الأسرة الصفوية اتصفوا بالقدرة على المشاركة في الأحداث السياسية في المناطق التي يقيمون فيها، وبالقيام أعمال تخلد ذكراهم، ولكن كان نشاط جنيد المهد لتأسيس أسرة صفوية حاكمة.

كان جنيد يسعى إلى تكوين عصبية مذهبية مرتبطة به، فاجتذب عدداً من الأتباع، وأصبح يشكل قوة محلية قادرة على العمل ـ عندما تسنح لها الفرصة ـ ضد الحكومة القائمة حينذاك الأمر الذي أقلق أمير القره قوينلو حتى أمر بنفيه خارج البلاد.

وحينذاك كانت هناك منافسة محتدمة بين قوة القرة قوينلو ـ التي كانت تعانى آخر أيامها ـ والقوة الصاعدة على حسابها (الآق قوينلو). فذهب حيدر بن جنيد إلى أوزون حسن (حسن الطويل) زعيم الآق قوينلو في دياربكر، فرحب به الرجل على اعتبـار أنـه معـول هدم للقـره قوينلو. وأقـام لديه حوالي ثلاث سنـوات

(٦٣) انتصر تيمور لنك خلال عملياته الاجتياحية على السلطان العثمانى بايزيد الأول في موقعة انقرة وحبسه في قفص عام ٨٠٥هـ.

(٨٦١ هـ - ٨٦٤ هـ) وزوجه من أخته، واتصل جنيد كذلك بالسلطان العثماني، ولكنه لم يلبث أن توفي.

وتابع حيدر نشاط أبيه جنيد وتزوج من ابنة حسن الطويل في منفاه، بل شارك في أحداث المنطقة وجمع حوله أعوانا من التركمان، ولم يلبث أن لقي مصرعه في بعض الصدامات التي وقعت في منطقة شيروان عام ٨٩٤ هـ (١٤٨٨ م).

وبدأت سلسلة من الاضطهادات للأسرة خرج منها إسماعيل بن حيدر، وقد صقلته التجارب وجعلته قادرا على الانتقال من مجال الحركات المحلية إلى مجال الحركات العامة. وبذلك اعتلى الشاه إسماعيل عرش البلاد، وكان يدبر أموره على أساس أن القوة السياسية يجب أن تعتمد على قوة عسكرية مخلصة تربطها به وشائج عقيدية متينة تجعلها مستعدة للاستماتة في الدفاع عن قائدها وعن معتقداتها

وكانت هناك قوى محيطة بفارس عند مطلع حكم الشاه إسماعيل، فمن الغرب كان يوجد العراق الذي لاذ به مراد بن يعقوب آخر أمراء الآق اقوينلو، وإلى الشمال كانت توجد إمارة تابعة أيضا للآق قوينلو يطمع فيها الشاه إسماعيل وهي إمارة البستان وكان عليها علاء الدولة. ومن جهة الشمال والغرب كان الأناضول بلاداً عثمانية سنية مجاهدة في البلقان ضد الدول الأوربية، وفي مياه الخليج العربي ظهر البرتغاليون، ومن الشمال الشرقي كانت توجد قبائل الأوزبك بزعامة محمد الشيباني الشديد البأس. وكان يسيطر على أجزاء من شمال شرقي فارس. وإلى الشرق توجد القبائل الأفغانية.

تمكن الشاه إسماعيل الصفوي من إخضاع بلاد الفرس كلها لحكمه، ولم يبق أمامه من عدو غير العثمانيين في الغرب والأوزبك في الشرق. وقد أعلن عزمه على إعلاء شأن مذهب الشيعة حتى راح يحمل الناس قسراً على الدخول في هذا المذهب، ولا يتردد في إفناء مدن بأسرها والقضاء على العلماء والأعلام زرافات ووحدانا حين يرفضون الاستجابة لدعوته مستمسكين بالإسلام.

وأدى بشاه فارس تعصبه الشديد لإرغام الناس على التشيع قسرا - حتى لامه مؤرخو الفرس أنفسهم في ذلك - أن دخل في حروب متواصلة مع العثمانيين عند

الحدود الغربية من بلاده، ومع الأوزبك عند الحدود الشمالية الشرقية لإيران. وكان هؤلاء الأوزبك يحكمون في بلاد ماوراء النهر التي تضم فيما تضم التركستان.

أمـا العثـمانيون والمماليك فقد هالهم ميل الشاه إسماعيل الصفوي إلى ملوك الفرنجة ومراسلاتـه معهم بهدف اقتسام دولة المماليك فتكون مصر من نصيب الفرنجة والشام من نصيبه هو، في الوقت الذي كان البرتغاليون يهددون دولة المماليك والشرق، ولم تستطع تلك الدولة صد الخطر الأجنبي، فلم يكن أمام المسلمـين، إلا الاستنجـاد بالأتـراك العثمانيين لإنقاذهم من اضطهادات الشاه إسماعيل، ومن سيف البرتغاليين.

لقـد أصبحت مهمة العثمانيين عالمية وليست محلية، وكان عليهم أن يقوموا بدورهم في إنقـاذ العـالم الإسلامي من البرتغاليين وإنقاذ أنفسهم من الضغط الصفـوي الشيعي المتواصل في الأناضول قلب الدولة العثمانية، فبدأ السلطان سليم الأول بإبادة الشيعة في الأناضول ثم شن حربا شاملة ضد الشاه في فارس نفسها، وانتصر عليه انتصارا كبيرا في موقعة جالديران في عام ٩٢٠ هـ وأجبره على عقـد صلح مع العثـمانيين. وأدى هذا الانتصار إلى زعزعة مكانة الحكم الفارسي في العراق. فقد أعلن حاكم بغداد ولاءه للسلطان العثماني سليم الأول، وأصدر السطان العثماني مرسوما بذلك. ولم يستطع الشه إسماعيل الصفوي أن يقوم بعمل جدى إزاء العراق حتى توفي ٩٣١ هـ.

أما حروب الشاه إسماعيل مع الأوزبك (حكام ماوراء النهر) فلم تكن على الأرض فقط وإنما كانت صراعا عقائديا، كل منهما يعتقد أنه الذي يسير على الحق. وأخذ محمد شيباني زعيم الأوزبك يدعو الشاه إسماعيل إلى العودة إلى الإسـلام مهددا إياه بحرب ضروس في قلب إيران ذاتها. ودارت الحرب بين الطرفين فانتصر الشاه إسماعيل في بادىء الأمر غير أن الأوزبك استطاعوا استعادة نفـوذهم ومنـاطقهم وتعـاونوا مع الأتراك ضد الشاه إسماعيل الذي تعاون مع البرتغاليين ضدهم. وظل النزاع بين الفرس والعثمانيين والأوزبك في عهد خلفائه من بعده.

خلف طهـماسب أباه إسماعيل، وحفلت مدة حكمة بالحروب المتصلة ضد أعدائه الأوزبك في الشرق والعثمانيين في الغرب. وقد رفض طهماسب الاعتراف

بالسلطان العثماني خليفة على المسلمين متأسيا في ذلك بوالده من قبله. وحدث أن عامل بغداد الفارسي، (من قبل طهماسب) انحاز إلى سليمان فجهز الشاه حملة ضده وأخضعه، فاتخذ سليمان هذه الحملة ذريعة لإعلان الحرب على فارس. فلما كان صيف عام ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م) دخل العراق بجيش قوي، واضطر الشاه إلى التراجع في وجه القوات العثمانية وصار في ميسور سليمان أن يتقدم إلى عاصمة الفرس، تبريز، وأن يستولي على بغداد، من غير ما عناء، وأقر سليمان العثماني الأمن والنظام في هذه الولايات الواقعة على الحدود والتي كان يعتزم الاحتفاظ بها.

ومن أبرز حكام الأسرة الصفوية الذين خلفوا طهماسب الشاه عباس الكبير، الذي عقد صلحاً مع العثمانيين في مطلع حكمه، وتنازل للعثمانيين عن أذربيجان وجورجيا ولورستان، وبعث بابن عمه حيدر ميرزا رهينة إلى استانبول. وفرغ بعد ذلك لإقرار الأمن في داخل مملكته ووقايتها من عدوان الأوزبك. وعقد معاهدة مع الانكليز وتمكن بموجبها وبمساعدة الأسطول الانكليزي من الاستيلاء على هرمز وبغداد واسترداد تبريز، ومكن للسلطة الفارسية من تعزيز الحدود في الشرق، وأنشأ قاعدة تجارية خلع عليها اسم بندر عباس.

ونقل عاصمته إلى أصفهان، وازدهرت البلاد في حكمه، وجاءت البعثات السياسية إلى مركز حكمه في أصفهان، كما تأسست مراكز تجارية أوربية على سواحل الخليج العربي. وقد ضل بالعمل في تحويل الحج من مكة إلى مشهد. وقد عنى بالفلسفة والعلوم والفقة، وازدهر في عصره الشعر والموسيقي، كما شهدت بلاد فارس نهضة عظيمة في صناعة السجاد والقيشاني، وضعفت الأُرة الصفوية بعد الشاه عباس لضعف حكامها وأدى ذلك لزوالها.

ومهما يكن من أمر، فان الحروب التي دارت سجالا بين شاهات الفرس من جانب والأوزبك والعثمانيين من جانب آخر قد أنهكت قوى هذه الدول الإسلاية القوية التي كان يحسب الأوربيون حسابها. فمهد ذلك لظهور روسيا قوية على مسرح الحوادث، ثم تدخلها هي والدول الأوربية من بعد ذلك في شؤون أمصار العالم الإسلامي، والاستيلاء على كثير من أراضيه.

وكان من أخطاء الصفويين كذلك استجابتهم للأوربيين الذين عملوا على دفعهم لحرب العثمانيين الذين كانت في حوزتهم مساحات كبيرة من الأراضى الأوروبية.

نادر شاه الأفشـاري :

وحين هان شأن الصفويين رقى العرش عام ١١٤٩ هـ (١٧٣٦ م) قائد من قوادهم يدعى نادر شاه، وكان على مقدرة حربية فائقة. واستطاع فارس الجديد هذا أن ينتصر على العثمانيين في عدة مواقع، كما حمل الروس على الجلاء عن إقليمي جيلان ومازندران، وكانوا قد استولوا عليهما أيام الصفويين.

واجتاح نادر شاه من بعد ذلك إقليمي بخارى وخيوة، وغزا أفغانستان وتوغل إلى الهند، وهاجم الدولة المغولية فيها، وخرب عاصمة الدولة (دهلي) واستولى على أموال طائلة بها، كما استحوذ على عرش الطاووس بها وانتزعه من أصحابه سلاطين الدولة المغولية هناك، وكانوا من سلالة تيمورلنك. وكانت الكنوز الهندية التي استـولى عليهـا نادر شاه هناك من الضخامة ما جعله يتغاضى عن جمع الضرائب من سكان بلاده لعدة سنوات. وعمل نادر شاه على الحد من الخلافات المذهبية بين الشيعة والسنة، ودعا في هذا السبيل إلى عقد مؤتمر للتقريب بينهم في بغداد ولكنه لم يوفق في ذلك إذ كان يرغب في إعادة السنة إلى إيران.

ولم يدم حكمـه طويلا إذ قتله بعض أتباعه من القاجاريين في جيشه عام ١١٦٦٣ هـ (١٧٥٠ م)، فتجزأت الدولة التي أسسها إذ استقلت بلاد الأفغان، بعد أن عادت الفرق الأفغانية التي كانت ضمن قوات فارس إلى بلادها، ونادت بقائدها أميرا على بلاده. وظلت أفغانستان منذ ذلك الوقت قلعة وسط آسيا ترد عنها كل مستعمر، وفيهم البريطانيون والروس، في تصميم وضراوة وعنف. كما أعلنت جورجيا استقلالها أيضا، وأخذت الدولة العثمانية جزءاً من أذربيجان، وسيطرت روسيا على تركستان.

وبعد مقتل نادر شاه جاءت فترة من الاضطرابات والفوضى، وتنازع العرش رجال من القبائل المختلفة ثم استقر الحكم في القبيلة القاجارية.

القاجاريون ١١٩٣ - ١٣٤٤هـ (١٧٧٨ - ١٩٢٦ م)

كان القاجاريون أعظم القبائل الإيرانية التركية التي ساندت الدولة الصفوية طوال حكمها الذي استمر أكثر من قرنين. وما إن قضوا على نادر شاه غيلة حتى دخل زعيمهم أقا محمد خان العاصمة طهران عام ١١٩٣ هـ ، ثم انطلق بقواته

فأخضع القبائل الإيرانية الأخرى لسلطانه، ومنهم الزنديون في الجنوب والأفشاريون في الشمال.

وفي أيام خلفه فتح علي شاه صارت بلاد الفرس مسرحا للصراع بين كل من فرنسا، وروسيا، وبريطانيا. ففرنسا أيام نابليون بونابرت كانت تريد أن تتخذ من إيران جسرا تنفذ منه إلى الهند لتقضي على كل نفوذ البريطانيين هناك، أما بريطانيا فكانت ترى أنها بسيطرتها على شواطىء إيران التي تطل على بحر العرب تصل إلى تأمين طرق مواصلاتها إلى الهند الغنية بثرواتها وخيراتها، فيما إذ تعطل طريق مصر لسبب من الأسباب، في حين كانت روسيا تطمع في شق طريق لها إلى إيران.

وتم للروس بالفعل الاستيلاء على قدر من الأراضي الإيرانية في الشمال. وإزاء ذلك حاول فتح علي شاه أن يخلص البلاد من النفوذ الأجنبي فعقد معاهدة تلست مع نابليون عام ١٢٢٢ هـ / ١٨٠٧ م لاستيراد الأسلحة من فرنسا والحصول على التدريب العسكرى منها في سبيل استرداد جورجيا. ولكن نابليون خدعة واتفق مع الروس، ونتيجة لذلك هزم الإيرانيون هزيمة ساحقة أثناء هجومهم على روسيا واضطرت إيران لتوقيع معاهدة عام ١٢٢٨ هـ / ١٨١٤ م تنازلت فيها إيران عن عدة مناطق لروسيا وأقرت لهم بامتيازات سياسية، ومنها حق محاكمة رعايا القيصر أمام محاكم روسيا فقط. وقبل شاه فارس قدوم بعثة بريطانية إلى بلاده لتنظيم جيشه. وظلت بريطانيا تمارس ضغطها على إيران إيمانا منها بأنها الطريق المؤدية إلى استعمار الهند، وبالفعل نجحت هذه الضغوط بتوقيع معاهدة طهران عام ١٢٢٩ هـ / ١٨١٥ م تعهدت انكلترا بموجبها بتقديم الحبوب والمعونات المالية في حالة وقوع اعتداء أو تحريض بالاعتداء على إيران. ولكن عندما نشبت الحرب الروسية الإيرانية عام ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٥ م لم تفعل بريطانيا شيئا سوى تظاهرها بالسعى بين الطرفين للصلح والسلام. وانتهت الحرب بتوقيع معاهدة تركمان خاى عام ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٨ م تنازلت فيها إيران عن منطقة أرمينية ودفعت فيها غرامة حربية وتعويضات، وأعطت روسيا حق الأولوية في المعاملات التجارية معها.

وتم للروس بالفعل الاستيلاء على قدر من الأراضي الإيرانية في الشمال. وإزاء

ذلـك حاول فتح على شاه أن يخلص البلاد من النفوذ الأجنبي فعقد معاهدة تلست مع نابليون عام ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) لاستـيراد الأسلحـة من فرنسـا والحصول على التدريب العسكرى منها في سبيل استرداد جورجيا. ولكن نابليون خدعـة واتفق مع الـروس، ونتيجة لذلك هزم الإيرانيون هزيمة ساحقة أثناء هجومهم على روسيا واضطرت إيران لتوقيع معاهدة عام ١٢٢٨ هـ (١٨١٤ م) تنازلت فيها إيران عن عدة مناطق لروسيا وأقرت لهم بامتيازات سياسية، ومنها حق محاكمة رعايا القيصر أمام محاكم روسيا فقط. وقبل شاه فارس قدوم بعثة بريطانية إلى بلاده لتنظيم جيشه. وظلت بريطانيا تمارس ضغطها على إيران إيمانا منها بأنها الطريق المؤدية إلى استعمار الهند، وبالفعل نجحت هذه الضغوط بتوقيع معاهدة طهران عام ١٢٢٩ هـ (١٨١٥ م) تعهدت انكلترا بموجبها بتقديم الحبوب والمعونات المالية في حالة وقوع اعتداء أو تحريض بالاعتداء على إيران. ولكن عندما نشبت الحرب الروسية الإيرانية عام ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م) لم تفعل بريطانيا شيئا سوى تظاهرها بالسعى بين الطرفين للصلح والسلام. وانتهت الحرب بتوقيع معاهدة (تركمان خاى عام ١٢٤٣ هـ (١٨٢٨ م) تنازلت فيها إيران عن منطقة أرمينية ودفعت فيها غرامة حربية وتعويضات، وأعطت روسيا حق الأولوية في المعاملات التجارية معها.

وفي عهد ناصر الدين شاه (١٢٦٠ - ١٣٠٨ هـ) حصل البريطانيون على مزيد من الامتيازات التجـارية ومنهـا احتكار الدخان. غير أن العلماء عارضوا هذا الاتفاق الأخير، وساندوا الشعب في ثورته عليه حتى عدلت الدولة عنه. هذا كما تخطف الانكليز كذلك بعض الأراضي التي تجاور مستعمراتهم مثل بلوخستان شرقي إيران التي ضموها إلى الهند، في حين سقط الروس على مساحات أخرى جديدة، وكان هؤلاء قد انطلقوا في زحفهم إلى آسيا يتوغلون في تركستان.

وفي عهد هذا الشاه اشتد نشاط حركة البابية. وزعيم هذا المذهب وهو ميرزا على محمد رضا الشيرازي الذي كان يلقب بالباب، إشارة إلى أنه الباب إلى الحياة الروحية الخالصة بزعمه. وهي دعوة لاتعترف بدين من الأديان بل تزعم أنها ترمي إلى توحيد أصحاب العقائد جميعا تحت رايتها. وقضى على هذه الدعوة وصاحبها عام ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠ م) وقتل عدد من أتباعها هناك من بينهم الباب ميرزا علي

محمد رضا الشيرازي وقرة العين (فاطمة علي القزويني).

وأدعى بعده حسين علي المازندراني أنه الموعود الحقيقي والمسيح المنتظر، وأن الباب لم يكن إلا مبشراً به، فسجن وتدخلت سفارات روسيا وبريطانيا لإخراجه فخرج ونفي إلى بغداد، ثم إلى تركيا ثم إلى عكا، وادعي أنه بهاء الله وعرفت دعوته بالبهائية، ولها بعض الأتباع في طهران وبعضهم خارج إيران.

وكان ناصر الدين هذا هو أول حاكم فارسي يزور الدول الأوربية، وقد أغرته مظاهر الحضارة الأوربية المادية ومال إلى اقتباس بلاده بقدرٍ منها، لكنه تردد في إرسال البعوث من طلاب فارس إلى هناك، كما عارض الحركة التحررية التي قام يدعو إليها ببلاده، وببلاد الشرق كله فيما بعد، جمال الدين الأفغاني الذي أرغم على مغادرة فارس، كما حصل نزاع في عهده بين إيران وأفغانستان بشأن منطقة هراة، واضطرت إيران إلى أن تتنازل عن هراة للأفغان بضغط من انكلترا. كما احتلت انكلترا نفسها بعض المناطق على الخليج العربي مثل بوشهر والمحمرة.

الحركة الوطنية في إيران :

وإزاء تطور الأحـداث في إيران، اغتيل ناصر الـدين شاه عام ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م). وخلفه الشاه مظفر الدين الذي سار عى نهج سلفه في رحلاته إلى أوربا وأنفق في ذلك أموالا كثيرة حتى اضطر إلى عقد قروض خارجية مع روسيا لتغطية نفقاته هذه، مما أشاع الاضطراب في مالية الدولة. وفي عهده اتفقت روسيا وبريطانيا على أن يكون للأولى نفوذها في الشمال، وللثانية استغلالها في الجنوب.

وقويت في عهد مظفر الدين كذلك حركة المطالبين بالحياة الديمقراطية، حتى اضـطر على كره منـه إلى إعـلان الـدستـور وقيام الحكم النيابي في ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) على أن خلفه محمد علي شاه سرعان ما ألغى هذا الدستور، وحل المجلس النيابي بمساعدة الروس، مما أدى إلى قيام الثورة بالبلاد ومهاجمة الثوار لمقر الشاه نفسه. وقد لجأ محمد علي شاه الى السفارة الروسية أولا هربا من غضبة الشعب، ثم غادر البلاد نهائيا إلى روسيا وحاول استرداد عرشه من بعد ذلك ولكه فشل.

ولم يكن إقرار الدستور إلا وليد حركة التذمر بين أبناء الشعب ضد الاستبداد

والبـذخ والترف، وعدم الرضا على التدخل الأجنبي. ولما كان الدستور مطلبا شعبيا، لذا كان إلغاؤه مرةً ثانية، من أسباب ثورة الشعب وإسقاط الشاه، وكره الشعب للتدخل الأجنبي بصفة عامة والروس بخاصة.

ولما قامت الحرب العالمية الأولى، كانت إيران ميدانا للصدام بين ألمانيا وتركيا من جهة وبين روسيا وانكلترا من جهة ثانية. وعندما انتهت الحرب كانت البلاد في حالة انهيار عسكري وسياسي. وما إن خرجت بريطانيا منتصرة في الحرب، وكانت روسيا قد قامت فيها الثورة الشيوعية فشغلت بها عما عداها، وتنازلت عن كل امتيازاتها وديونها لدى إيران، بينما ضغطت بريطانيا على إيران فأجبرتها على توقيع معاهدة معها اعترفت بموجبها باستقلال إيران إلا أنها وضعت قيودا شديدة على إيران فقد خولت المعاهدة لهم السيطرة على الجيش الإيراني، وصارت بها مالية البلاد تخضع لرقابتهم.

فعلت بريطانيا ذلك في الوقت الذي كانت تعمل يه على تشديد قبضتها على وادي النيل، والعراق، والهند وتمزيق أراضي الدولة العثمانية مقر الخلافة. فاذا بشعـوب هذه البـلاد جميعـا تهب في وجههـا وتطالب بخروج قوات الاحتلال البريطاني من أراضيها وترفض كل ماكان يعرض عليها من معاهدات ظاهرها الاعتراف بالاستقلال وحقيقتها وواقعها الإقرار بحماية بريطانية مقنعة.

رضـا شـاه بهلـوي :

رضي الشاه أحمد آخر حكام الأسرة القاجارية بالمعاهدة التي فرضتها انكلترا، وبقيت موافقة المجلس النيابي حتى يتم التصديق عليها، وفي هذه الأثناء رفض الحزب الوطني المعاهدة واتصل بفرقة القازاق إيرانية وطلب من رضا بهلوي الذي كان ضابطا فيها حسم الموقف.

تحرك رضا بهلوي عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢٣ م) بفرقته العسكرية واستطاع تحرير بلاده من كل من النفوذ الروسي والبريطاني واعترف الطرفان باستقلال بلاده، ونقل الانكليز قاعدتهم العسكرية من إيران إلى البحرين. كما تخلى الروس عن كل الأراضي الإيرانية التي في حوزتهم، كما أشرنا ـ ورابطوا على الحدود الشمالية. وفي عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦ م) قرر مجلس النيابي إقصـاء أحمـد شاه آخـر حكام،

القاجار عن الحكم وتقرر انتخاب رضا شاه بهلوي وتتويجه على عرش إيران بدلا منه.

سار رضا شاه على نهج مصطفى كمال، وقد أقر في السنوات الأولى من حكمه النظام والأمن وألغى الامتيازات الأجنبية والاتفاق مع شركة النفط الانكليزية، وعقد اتفاقا جديدا معها حصل بموجبه على شروط أفضل من السابق، واستولى على أموال الوقف، وأخضع القبائل، وعمل على توطين البدو، وافتتح المدارس، وأنشئت في عهده جامعة طهران عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م)، وألغي الحجاب، ودعا إلى خروج النساء الى الشوارع سافرات. كل هذه الأعمال فرضها، ودعا إليها بقـوة، وانقلب الحكم إلى نظام استبـدادى رغم أنـه احتفظ بالمجلس ا لنيابي كواجهة، وهو يرسم وينفذ المجلس يوافق ويوقع، كما أنه أصبح يملك مساحات شاسعة من الأرض، وغدا من أكبر أثرياء العالم.

وعمل رضا شاه على توثيق علاقاته مع جيرانه وتخطيط حدوده معهم، ففي عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) عقد الشاه في سعد أباد معاهدة مع تركيا، والعراق، وأفغانستان، لمدة خمس سنوات، ضمنت بموجبها كل من الدول الأربع حدود الـدول الأخرى، وتعهدت بالامتناع عن كل تدخل في شؤون الدولة المجاورة الداخلية، كما تعهدت هذه الدول جميعا بأن تحل أيا خلاف قد ينشأ فيما بينها بالـطرق السلمية، وكـذلـك عدم عقد مخالفات عدوانية مع الدول الأخرى، وسميت المعاهدة بميثاق سعد آباد.

ولما اندلعت الحرب العالمية الثانية أعلن رضا شاه أنه يلتزم موقف الحياد بين الجبهات المشتركة في القتال، وإن حكومته موالية للألمان ويوجد في البلاد عدد من الخبراء الألمان. فطلب الانكليز والروس إقصاء هؤلاء الألمان باعتبارهم مصدر خطر كبير للحلفاء، وأيدت الولايات المتحدة الأمريكية هذا الطلب ولكن الشاه رفض ذلك، فهاجمته القوات الروسية من الشمال والانكليزية من الجنوب، وأيدت الولايات المحدة هذا التدخل، ودافع الإيرانيون عن بلادهم واضطر الشاه للتنازل عن العـرش فنفـاه الحلفـاء إلى جنـوبي إفريقية، وبقى هناك حتى مات عام ١٣٦٣ هـ (١٩٤٢ م) وخلفه ابنه محمد رضا والذي أعلن قطع علاقات الحكومة الإيرانية مع دول المحور.

وفي عام ١٣٦١ هـ عقدت روسيا وانكلترا معاهدة مع إيران تعهدتا فيها باحترام وحدة البلاد واستقلالها وحمايتها من كل اعتداء، وفي الوقت نفسه تعهددت إيران بتقديم التسهيلات غير العسكرية للحلفاء، وسجت القوات الروسية والانكليزية من البلاد الإيرانية.

وفي عام ١٣٦٢ هـ (١٩٤١ م) أعلنت إيران الحرب على دول المحور، وتعهدت كل من الولايات المتحدة وروسيا وانكلترا بتقديم المساعدة الاقتصادية، وبالمحافظة على استقلال أراضيها وذلك في تصريح طهران على لسان كل من روزفلت وستالين وتشرشل، والواقع أن إيران لم تكن مستقلة أثناء الحرب العالمية الثانية بل كانت مجزأة إلى منطقتى احتلال انكليزية في الجنوب وروسية في الشمال، ويفصل بينهما خط عرض طهران.

ساءت العلاقات بين إيران وروسيا بعد الحرب لأن الإيرانيين قد رفضوا طلب الروس بالتنقيب عن النفط في شمالي إيران، وهذا ماحدا بالروس إلى دعم حزب تودة الشيوعي ومطالبته بالاستقلال في أذربيجان. كما أنهم منعوا قوات الأمن الإيرانية من دخول أذربيجان الفارسية حيث ترابط القوات الروسية.

وفي عام ١٣٦٥هـ (١٩٤٤م) تحسنت العلاقات بين إيران وروسيا، فأعلن عن توقيع اتفاق نفطي بين الدولتين وانسحبت روسيا من شمالي إيران، ولكنه يظهر أن هذا الاتفاق كان مؤقتا للقضاء على الحركات الانفصالية التي يدعو إليها حزب تودة بدعم من روسيا. وأمام هذه الحركات أقال رئيس الوزراء من وزارته أعضاء حزب تودة، وأرسل قطاعات من الجيش إلى أذربيجان قضت على التمرد.

رفضت الحكومة الاتفاقية النفطية كما رفضها المجلس النيابي عندما عرضت عليه، وهذا ما أثار الروس إذ عدوا هذا الرفض عملا عدائيا.

وفي عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٦ م) جرت مفاوضات بين الحكومة الإيرانية برئاسة رئيس الحكومة الجنرال ـ رازمارا وشركة الزيت الانكليزية الإيرانية بقصد تعديل شروط الاستثمار، ولكن المعارضة بزعامة محمد مصدق عارضت هذه المفاوضات فاضطر رئيس الحكومة إلى تأجيل المفاوضات. وسرعان مااغتيل في عام ١٣٧٠ هـ / (١٩٥١ من رئيس الحكومة رازمارا، ثم أعقبه اغتيال وزير المعارف مما جعل المجلس النيابي يقرر تأميم صناعة النفط. ويعهد إلى محمد مصدق زعيم

المعـارضة برئاسة الوزارة والذي يلقى تأييدا من الوطنيين والمتطرفين والمتدينين. فألغى مصدق الامتيازات النفطية الانكليزية.

سحبت انكلترا موظفيهـا وخـبراءهـا من إيران وحـاصرت الموانىء، ورفعت القضية إلى محكمة العدل الدولية، فكان الحكم لصالح إيران، وحاول تشرشل وترومان التوسط ولكن مصدق لم يستمع إلى أي وسيط، ثم قطع علاقاته مع بريطانيا.

اختلف الشـاه محمد رضا مع مصدق، وحل رئيس الحكومة مجلسي النواب والشيوخ وهذا ماسهل له أن يعين رئيس وزراء جديد هو الجنرال زاهدى، فلم يعد بإمكان مصدق سحب الثقة لأن المجلس النيابي غير موجود.

سافـر الشاه برحلة إلى أوربا وترك الصراع بين الطرفين، فاستطاع الجنرال زاهدى أن ينتصر على مصدق بعد معركة جرب بالدبابات، بعد أن رفض ايزنهاور مده بالـدعم الاقتصـادي لإصلاحي الأوضاع الاقتصادية المتدهورة في البلاد، ونتيجة لذلك فقد قبض على مصدق، وقدم إلى المحاكمة، وعاد الشاه بعد ذلك إلى البلاد.

تسلم الجنرال زاهدى رئاسة الوزراء، وأعاد العلاقات مع بريطانيا، وسوى علاقـاتـه مع الاحتكـارات النفطية بحيث يستثمر النفط اتحاد مؤلف من ثماني شركات عالمية، ووافق المجلس النيابي على هذا المشروع، الذي عرضه الجنرال زاهدى عام ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣ م). لم يستقر الوضع بانتهاء حكم مصدق، فقد كان حزب تودة يعمل في اليسر، وقبض على خمسين من أعضائه وأودعوا السجن بتهمة محاولة اغتيال الشاه. كما أن الحكومة أرادت التخلص من جماعة «فدائيان إسلام» التي يقودها «نواب صفوي» والتي كانت تدعو إلى الإسلام وعدم وجود التفرقة المذهبية، فاتهم أحد أعضائها بمحاولة اغتيال رئيس الوزراء حسين علاء الذي خلف الجنرال زاهدى فقبض على عدد من أعضائها هوأعدموا، ومن بينهم زعيم الجماعة نواب صفوي. وهكذا نرى أن الحقد ينصب على المسلمين بشكل أقوى بكثير مما ينصب على الفئات الأخرى مهما كان الاختلاف قويا بينهما.

وفي عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م) انضمت إيران إلى حلف بغداد الذي يضم تركيا، والعـراق، وإيران، وبـاكستـان ليكـون هذا الحلف قوة في وجه روسيا

والشيوعية وعندما انسحبت منه العراق ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م) عرف بعدها باسم الحلف المركزي أو (الحلف السنتو).

ولهذا كله كانت العلاقات بين إيران والاتحاد السوفيتى سيئة، ولم تخف حدتها إلا بعد زيارة الشاه للاتحاد السوفيتى عام ١٣٧٦ هـ (١٩٥٦ م).

أعلن الشاه عن ثورة بيضاء ضمنت إنهاء عهد الإقطاع وبيع أسهم الحكومة في المصانع والاستفادة من ثمنها في الإصلاح الزراعي، ومشاركة العمال بالأرباح وإصلاح قانون الانتخابات، وتعميم الثقافة، وتأميم الغابات في البلاد جميعها، وأجرى استفتاء عاما جاء لمصلحة المشروع إذ أن أصحاب المال والأملاك الكبيرة قد وقفوا في وجهه مما اضطره إلى القيام بهذا الاستفتاء.

ومع ذلك فان المعارضة لحكم الشاه لازالت تشتد يوما بعد يوم، وكان آخر هذه الاضـطرابات ١٣٩٨ هـ (١٩٧٨ م) والتي نتج عنها تزعم الخميني للثورة الإسلامية التي أطاحت بحكم الشاه في ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م)، وخرج الشاه إلى الخارج، وقامت باعتقال وإعدام أعضاء النظام السابق وأعلنت عن قيام جمهورية إسلامية في إيران.

أما علاقتها بالدول الاسلامية عامة والعربية خاصة فقد كانت حسنة في بداية الأمر وتدعو إلى التفاؤل، وقد كان للحكومة الإيرانية الجديدة مواقف خاصة من قضية فلسطين بعكس النظام السابق، وبدأت الحكومة الجديدة تعيد النظر في أطماع إيران السابقة في الخليج ونأمل أن تتوطد علاقاتها مع الجميع على نحو يكفل للعالم الاسلامي التقدم والازدهار.

لم يلبث الخلاف أن وقع بين الفرق المشتركة في الحكم، وفّر رئيس الجمهورية أبو الحسن بني صدر متخفياً في فرنسا، ووقعت صدامات كثيرة تؤذن بضعف الحكم وخاصة بعد توقع موت الخميني الذي جاوز الثمانيين.

وتغـيرت العلاقات بعد مدة مع البلدان العربية، وقامت الحرب العراقية ـ الإيرانية ووقفت بعض الـدول العـربية بجـانب إيران والأكثرية الباقية بجانب العراق، ولم تجد المحاولات لوقف الحرب الدائرة بين الطرفين رغم تدخل مؤتمر العالم الإسلامي. وظهرت دعايات باستيراد إيران الأسلحة من إسرائيل، والله